والتوبيخ ﴿فإن قلت﴾ ما العامل في إذا وحرف الاستفهام مانعه أن يعمل
فيه ﴿قلت﴾ ما دل عليه أو ما في ما لكم من معنى الفعل كأنه قيل ما تصنعون
إذا قيل لكم كما تعمل في الحال إذا قلت ما لك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في
سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ
مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة إلا ورّى عنها بغيرها إلا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة
﴿من الآخرة﴾ بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة ﴿في الآخرة﴾ في جنب
الآخرة ﴿إلا تنفروا﴾ سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق
يتناول عذاب الدارين وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم
وأطوع وأنه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير
للرسول أي ولا تضروه لأن الله وعد أن يعصمه من الناس وأن ينصره ووعد الله
كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم أهل اليمن وقيل أبناء فارس والظاهر
مستغن عن التخصيص ﴿فإن قلت﴾ كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا
للشرط ﴿قلت﴾ فيه وجهان أحدهما إلا تنصروه فسينصره من نصره حين
لم يكن معه إلا رجل واحد ولا أقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على
أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني أنه أوجب له النصرة
وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده وأسند الإخراج إلى
الكفار كما أسنده إليهم في قوله من قريتك التي أخرجتك لأنهم حين هموا بإخراجه
أذن الله له في الخروج فكأنهم أخرجوه ﴿ثاني اثنين﴾ أحد اثنين كقوله ثالث ثلاثة

وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه روي
أن جبريل عليه السلام لما أمره بالخروج قال من يخرج معي قال أبو بكر
وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون ﴿إذ هما﴾ بدل من إذ أخرجه
﴿الغار﴾ ثقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة
مكثا فيه ثلاثا ﴿إذ يقول﴾ بدل ثان قيل طلع المشركون فوق
الغار فأشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن
تصب اليوم ذهب دين الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين
فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون
قد أخذ الله بأبصارهم عنه وقالوا من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر
لإنكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة ﴿سكينته﴾ ما ألقي في
قلبه من الأمنة التي سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون إليه ﴿والجنود﴾
الملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين ﴿وكلمة الذين كفروا﴾ دعوتهم
إلى الكفر ﴿وكلمة الله﴾ دعوته إلى الإسلام وقرئ وكلمة الله بالنصب والرفع
أوجه وهي فصل أو مبتدأ وفيهما تأكيد فضل كلمة الله في العلو وأنها
المختصة به دون سائر الكلم ﴿خفافا وثقالا﴾ في النفور لنشاطكم له
وثقالا عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها أو
خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبانا وشيوخا